

أبحاث يوبا الثاني حول أصل نهر النيل

Juba II and his Research on the origin of the Nile river

حسينة حلاق¹*

¹ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، عبد الحميد مهري، قسنطينة 2(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2023/05/10، تاريخ القبول: 2024/10/28، تاريخ النشر: 2024/10/30

ملخص:

يذكر هيرودوت في تاريخه "أن مصر هبة النيل" المجرى المائي الذي لعب دورا هاما في قيام الحضارة المصرية، وشريان حياتها الاقتصادية، شغل بعظمته وهيبته فضول الفكر الإنساني، خاصة مؤرخي الإغريق الذين انكبوا على دراسته واستكشاف خصوصياته والبحث عن أصل منبعه، فتعددت الآراء ووضعت العديد من النظريات حول أصل منبعه، وأن اختلفت في الطرح إلا أنها اتفقت جميعها على أن أصل منبعه من الغرب، وهي ذات الفكرة التي تبناها الملك يوبا الثاني، الذي أشار في مؤلفه لبيكا أن أصل نهر النيل ينبع من أحد جبال موريطانيا، الإشكالية التي نحاول مناقشتها خلال هذه المداخلة والإحاطة بهذا الموضوع الهام، والذي يعد عسيرا علينا في غياب المصدر الذي دوّن ملاحظات الحملة الاستكشافية (مؤلف لبيكا)، غير أنه انطلاقا من الشذرات التي حفظت عند بيلينيوس القديم (Plin l'ancien) في مؤلفه التاريخ الطبيعي (الكتاب الخامس) نحاول على ضوءها معرفة محتوى النظرية التي وضعها يوبا الثاني حول أصل نهر النيل، وتتبع مجراه انطلاقا من أعالي جبال موريطانيا إلى غاية وصوله إلى مصر، الدوافع التي جعلته يهتم بهذا النهر، ونتائج رحلته الاستكشافية نحو جزر المحيط الأطلسي.

الكلمات المفتاحية: يوبا الثاني؛ نهر النيل؛ موريطانيا؛ ليبيا؛ مصر؛ لبيكا

Abstract:

Herodotus mentions in his history that "Egypt is the gift of the Nile", that important river which played an important part in the establishment of Egyptian civilization, and the beating-heart of its economic life, and filled of his greatness and endowed him with the curiosity of human thought especially, the historians of the Greeks, who devoted themselves to studying it, exploring its peculiarities and researching the origin of its source; There were different opinions and numerous theories were developed, although they differed in proposition, but they all agreed that the origin of its source was from the West , Juba II also believed, That the origin of the Nile came from the west, to the lands western parts of Mauritania to investigate and search for the origin of the river and prove the outstanding theory. So, from this little

introduction, we try through this intervention. To take note of this important subject, which is difficult for us in the absence of the source who wrote the notes of the expedition (the author of Libyca), but on the basis of the fragments which were preserved by the ancient Plinius (Pliny the Elder) in his book Natural History (Book V), we try in the light of what to know the content of the theory developed by Yuba II on the origin of the Nile, and traced its course from the mountains of Mauritania until his arrival in Egypt, the reasons which led him to take an interest in this river, and the results of his expedition to the islands of the Atlantic Ocean.

Keywords: Juba II; Nile river; Mauritania; Egypt; Libya; libyca

مقدمة :

شكل نهر النيل بعظمته المقوم الذي قامت عليه الحضارة المصرية، وأحيط بهالة قدسية من طرف المصريين الذين راحوا ينشدونه بكل خشوع من خلال ترنيمة ايزيس، وعلى حوافه تشكلت أسس الزراعة المصرية، وملاحم المجتمع، فرغم ما حمله من مخاطر، إلا أن البراعة المصرية مكنتهم من تجاوز مخاطره وأهواله، فوضعوا تقويما زراعيا بناء على فيضانه وانحصاره، كما شكل شريان المواصلات بين البحري الأحمر والمتوسط في نقل البضائع الأكثر صلبا، وغيرها من المنافع التي أدّر بها على مصر والمصريين، ما جعل المؤرخ الإغريقي هيرودوت يؤكد هذه الحقائق بذكره "أن مصر هبة النيل". **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**، كما شكل النيل مصدر الهام للعديد من الكتاب، ومادة علمية لأبحاثهم خاصة الجغرافيين منهم، الذين راحوا يبحثون ويفتشون عن أصله الغامض، بوضع نظريات ونسج العديد من الأساطير حوله حسب وجهة نظر كل واحد منهم، وما أتاحت له من إمكانيات للكشف عن هذا المجهول العظيم.

يوبا الثاني (50 قم – 23م)¹، واحد من هؤلاء الباحثين الذي وجه نشاطه بعد استلامه لحكم مملكة موريطانيا سنة 25 ق.م، بتوجيه أبحاثه للكشف عن نهر النيل، بإرسال بعثات جغرافية لتقصي منابعه، الخطوة التي قام بها بدافع الفضول العلمي الذي عرف عنه، خاصة بعد استفادته من الحملة العسكرية التي قام بها كايوس غالوس على شبه الجزيرة العربية (Gaius Aelius Gallus)، 24-26 ق.م، التي استغلها للبحث عن الطرق التجارية التي تربط المنطقة بالخليج الفارسي وشبه الجزيرة الهندية، وهناك من يرى في توجهه للبحث عن نهر النيل، انه أراد أن يربط بين عالمه وعالم زوجته البطلمية كليوباترا سلمي، أي تحقيق نوعا من الوحدة الجغرافية بين موريطانيا ومصر، النقطة التي شكلت جوهر عمل الباحث الفرنسي فليب لوفو (PH.Leveu)، فيما بعد الذي وجد أن هناك العديد من النقاط التي تربط بين مصر وإفريقيا، حيث عمل على تأكيدها من خلال التقنيات الهيدوغرافية المتشابهة بين الإسكندرية، وحنايا المياه التي شيدها يوبا الثاني بعاصمته قيصرية، القناة التي تطابق في تصميمها المعماري قناة الإسكندرية، ولم يتوقف التطابق فقط في الجانب المعماري، حيث نجد تشابه في المعتقد الديني، أي اشتراكهما في عبادة الآلهة ايزيس التي تمكنت من التسرب لقيصرية عن طريق كليوباترا، ما يؤكد لنا عمق الترابط والصلة بين المنطقتين **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**، وهي حقيقة ثقافية لا يمكن إنكارها، وهي قديمة موهلة في التاريخ تدل على التداخل بين المنطقتين جغرافيا وحضاريا وحتى لغويا .

نهر النيل الفكرة التي مهد بها يوبا الثاني في مشروع مؤلف جديد غطى فيه الجوانب الجغرافية والتاريخية والاثنوغرافية للقارة الإفريقية، الذي عنوانه بليبكا" (Libyca)، مؤلف في غاية الأهمية لدراسة المنطقة، غير أن فقدانه

شكل لنا خسارة كبيرة لسدّ الفراغ لمعرفة التاريخ المحلي خلال فترة العصر الإمبراطوري الأول، وأهم الأفكار التي طرحها مؤرخو الحلقة الاوغسطية، الحلقة التي شكلت أوج قوة فترة العصر الذهبي للأدب اللاتيني، والتي قدمت لنا مؤرخا من شمال إفريقيا، يوبا الثاني الذي كان في تواصل دائم مع روادها .

فرغم فقدان معظم أجزائه، إلا أننا تمكنا من التعرف على محتواه، من خلال بعض الشذرات التي حفظت في ثنايا بعض صفحات المؤرخين الإغريق واللاتين، أكثرها في التاريخ الطبيعي لبلينيوس الكبير، الذي اعتمد عليه بكثرة من خلال استشهاده به بكثرة وصلت إلى ثلاثين (30) مرة، ما يؤكد لنا مصداقية معلوماته ودقته، ويعتبره مصدرا أساسيا في إطار حديثه عن نهر النيل، إذن الأهمية التاريخية للمعلومات التي قدمها بها يوبا الثاني، جعلتنا نخصص له هذه الورقة البحثية لتتبع مسار بعثاته الاستكشافية والاطلاع على أهم النتائج التي توصل بها، وأهدافه الحقيقية من وراء هذا العمل، أملا بالعودة مستقبلا لأعمال هذا الملك العالم لدراستها بشكل معمق.

1- تعريف بمؤلف ليبیکا :

يعد من أهم الأعمال التي كتبها يوبا، باعتباره المصنف الوحيد الذي وضعه عن وطنه الأصلي ليبيا، وقد أدمج فيه نتائج أبحاثه عن النيل، وأرخبيل جزر الكناري، كتبه ما بين 25 ق.م – 1 م، يتكون من ثلاثة كتب، تضمن معلومات مهمة عن وطنه الأم، لم يتبقى منه إلا شذرات محفوظة عند بلوتارخوس (Plutarque)، أثيني (Athénée de Naucratis)، كلوديوس ايليانوس (Claude Aelien)، أميانوس مركيليانوس (Ammien Mercelin) **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** ولكن أكثرها عند بيلينيوس الكبير (Plin L'Ancien)، الذي اعتمد عليه مباشرة بعد خمسين (50) سنة من وفاته، الذي أشار إليه في كتابه الخامس الذي خصصه لمنطقة شمال إفريقيا، وخصص جزءا فيه للحديث عن أصل منبع نهر النيل

مؤلف ليبیکا دراسة جغرافية شاملة للمنطقة، ان كان نهر النيل يشكل الفكرة الأساسية للمصنف، فقد تضمن أيضا معلومات جد مهمة عن الجهة الغربية لإفريقيا، حيث ركز نشاطه الجغرافي لحملاته الاستكشافية لاستطلاع والتعرف بجزر المحيط الأطلسي، الحملة التي ربطها البعض بمشاريع السياسة التوسعية للإمبراطورية الرومانية التي أردت أن توسع وتمدد حدودها نحو الجهة الغربية للمملكة الموريطانية، من أجل استغلال الأرجوان الموريطاني الذي تعرف به المنطقة خدمة لاقتصادها. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

اختيار يوبا للقيام بهذه المهمة كان مربوط بأهداف سياسية، ولكن أيضا لسعة معارفه الجغرافية التي سوف تفيد كثيرا في التحديد الجغرافي لتلك الجزر، كما تحدد مستقبلا الحدود الجغرافية الغربية للإمبراطورية، والتعريف بالمنطقة الغربية كونها لا تزال مجهولة عند الإغريق والرومان، الأمر الذي جعل يوبا الثاني في اتصال دائم مع العالم الجغرافي الروماني ماركوس أغريبا (Marcus Vipsanius Agrippa) (63 ق.م-12 ق.م)²، واعتمادا على ما قدم الاسكندراني ذو الأصول القورينية اراتوستينس (Eratostenes)، الذي وضع الأسس الأولى لرسم الخرائط الجغرافية اعتمادا على خطوط الطول ودوائر العرض، وبذلك أخذ يوبا مهمة رسم وإعداد الخرائط الرسمية للإمبراطورية بالتعاون مع أغريبا. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

كللت رحلته الاستكشافية إلى جزر المحيط الأطلسي بالكشف عن جزيرتين (02) وهي: جزر الشعب الأرجوانية (Purpuares)، أو ما تعرف بجزر موغادور (منطقة اتولوس اليوم)، التي تشتهر بكثرة المريق (Murex)، الذي استغله يوبا بإنشاء محطة لاستغلاله، إلى جانب اكتشافه لنبات طبي يعرف باسم اليوفورب (Euphorbe)³ الذي خصص له مصنفا خاص يعرف بفوائده الطيبية، غير بعيد عن جزر الشعب الأرجوانية **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** كشف أيضا عن جزر الكناري أو جزر المحظوظين (Fortenes)، وهي جزر عبارة عن أرخبيل يتوزع على خمسة (05) جزر : (جزيرة الأمطار (Ombriose)، جزيرة يونونيا (Jonenia)، جزيرة الماعز (Capraria)، جزيرة نيفاريا (Nivaria)، جزيرة كناريا (Canaria)، إلى جانب الجزر وضع يوبا مصنفا حيوانيا يعرف فيه بالحيوانات التي تشتهر بها منطقة الأطلس، أبرزها الفيل الأطلسي الذي قدم لنا خصائصه، وملاحظات عامة عن الحيوانات البرية الأطلسية **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

لم يغفل يوبا عن الملاحة البحرية، لما كان لها من أهمية في الحراك التجاري السياسي للإمبراطورية، أين قدم العديد من الملاحظات عن الملاحة البحرية، خاصة الطرق البحرية التي تقع شرق القارة الإفريقية، مستغلا مخطوط رحلة حانون الذي حاز على نسخته الإغريقية، الذي أضاف عليها العديد من التعليقات، مؤكدا حدوث الرحلة بعد عثوره على حطام سفينة، ما أكد حقيقة أن القائد القرطاجي حانون وصل إلى القرن الجنوبي الإفريقي⁴، الذي كان يسمى عن القرطاجيين باسم "الخليج"، ومنه وصلوا طريقهم نحو المنطقة العربية، الأبحاث التي دونها يوبا فيما بعد في مؤلف خاص تحت عنوان "أرابيكا"⁵ (Arabica). **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

غير أن الهدف الحقيقي ليوبا من كتابة ليببكا، كما اشرنا سابقا تأكيده لفرضية أصل نبع نهر النيل، الفكرة التي كانت سائدة عند المرخين الجغرافيين في وقته أنه ينطلق من الغرب وصل بعد مسرة طويلة إلى مصر، النظرية التي خصص لها كتابا، والتي تشكل محور مداخلتنا.

2- مصادر معلومات يوبا حول النيل :

اعتمد يوبا لتأكيد نظريته والتعريف بها على مجموعة من المصادر التي كانت بين يديه، انطلاقا من المخزون الثري الذي شكل مكتبته الملكية ببول القيصريّة، المكتبة التي ضمت العديد من النسخ، إن لم تكن أنسخا أصلية، التي تحصل عليها من مكتبة قرطاجة، وهي المخطوطات التي أنقذت بعد أن سلمها القائد الروماني سكيبيو اميليانوس (Scipion) (EAmilien) إلى الملوك النوميدي المتحالفين معه سنة 146 ق.م، المخطوطات التي تداولت فيما بعد بينهم، وتمكنت من الوصول إلى يوبا عن طريق جده هميصال الثاني (Hiempsal II)، إلى جانب المخطوطات البونيقية، توفرت مكتبته على مجموعة من المخطوطات الإغريقية واللاتينية التي تحصل عليها فترة تواجده بالبلاط الملكي الروماني، واثناء اشتغاله مع وارو في توسيع نظام المكتبة الرومانية بتكليف من الإمبراطور أوكتافيوس، وهي النسخ التي شكلت البلاطة الأساسية لجل أبحاثه الجغرافية والعلمية، والتي ساعدته في وضع تصور مشروع موسعته الجغرافية حول العالم القديم المعروف وقتها. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

إذن وفرت له المخطوطات البونيقية قدرا مهما من المعلومات على نهر النيل ومصدره، الأمر الذي أكدته لنا المؤرخ اللاتيني أميانوس مركيليانوس، إذ يخبرنا أن يوبا الثاني في أبحاثه لمعرفة أصل نبع النيل انطلاقا من المخطوطات

البونيقية. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** الشهادة التي توضح لنا مستوى المعارف البونيقية التي وصلت لدرجة من التطور والدقة خاصة المعارف الجغرافية.

كما كان لزوجته البطلمية كليوباترا سلمي⁶ (Cléopâtre Sélène) ابنة مارك أنطوان (Marc Antoine) وكليوباترا السابعة (Cléopâtre VII) نصيبا في توفير قدر لا بأس منه من المعلومات لزوجها، وذلك بوضع التقارير البطلمية التي تضمنت تقارير الحملات التي قام بها القادة حول الإسكندرية، والمناطق الداخلية لبلاد النوبة، وشرق إفريقيا، وأعلى النيل والمناطق التي تطل على البحر الأبيض (البحر الأحمر)، التي تحصّلت عليها من الأشخاص الذين كانوا لا يزالون يحملون الولاء لوالدتها. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** كما استفاد أيضا من الكتب البطلمية خاصة المؤلفات التي تركها بطليموس الثامن الملقب بـ يورجتيوس الثاني (Ptolémée VIII Évergète II)، الذي سبق له أن زار نوميديا في عهد الملك ماسينيسا، بناء على ما ذكره لنا المؤرخ الإغريقي أثيني النوقراطي سي بمؤلفه "مأدبة السفستائيين". **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

تكمّن أهمية مؤلفاته كونه قام برسم الطرق التجارية البحرية بشكل دقيق وتوضيحها خاصة منطقة البحر الأحمر، وطرح فكرة إمكانية الملاحة من المحيط الهندي نحو البحر الأبيض المتوسط، الملاحة التي كانت سابقا تتم عن طريق الوسطاء الذين ينطلقون من المنطقة العربية، والاستعانة بعدها بالقوافل الصحراوية التابعة لمملكة الأنباط، التي بدورها توصلها للبحر الأبيض المتوسط. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** هذا كما تعامل يوبا مع الجغرافي الإغريقي اسيدور الشاركي (Isidore de Charax)، الذي أمده بمعلومات حول المنطقة العربية و البحر الأحمر، الذي مؤلفا جغرافيا يصف فيه الطرق التجارية بين البلاد العربية إلى غاية الهند، ووصف فيه الطرق التجارية البحرية للبحر الأحمر. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

اذن كانت المعلومات متنوعة وعديدة حول منطقة شمال إفريقيا، والأجزاء الشرقية لمصر وليبيا، وهي مناطق كانت معروفة عند الكتاب الإغريق واللاتين منذ العصور القديمة، والتي شكلت جزءا من أساطيرهم، باستثناء منطقة ما وراء المحيط الأطلسين لذا فإن اكتشاف هذه المناطق سوف تضيف قيمة كبيرة لأبحاث يوبا الثاني، الأمر الذي جعله يرسل بعثات استكشافية من عاصمة مملكته القيصرية لجبال الأطلس لتأكيد المعلومات التي اطلع عليها من المصادر المذكورة سابقا أو نفيها، دون أن يغفل عن أي مصدر يمكن أن يفيد في مشروعه الاستكشافي بما في ذلك الروايات الشفوية. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

3- أهداف يوبا الثاني من البحث عن أصل نهر النيل :

لقد شكل نهر النيل بعظمته ورهيبته لغزا محيرا للعديد من الجغرافيين الذين عكفوا على دراسته غير أنهم لم يتوصلوا إلى معرفة أصل بدايته ومنبعه، بداية من عهد الفرعون المصري ذو الأصول الليبية "الملك نيخاو" (906-569 ق.م) (الأسرة 26)، التي نفذها بتكليف بحارة فينيقيين انطلاقا من البحر الأبيض، حيث تمكنوا من عبور طريق البحر الجنوبي (المحيط الهادي)، فأدركهم موسم الشتاء بالأراضي الليبية التي مكثوا بها، ثم عبروا أعمدة هرقل، قاصدين مصر، حيث يوضح لنا هيرودوت نتائج التي توصلت لها الرحلة الطوفانية بتأكيد أن ليبيا تحيط بها المياه من كل جهة، في حين لم يتوصل إلى تتبع مجرى النهر. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** ثم أعقبتها عدة محاولات لتقصي

منابعه، منها محاولة هيرودوت خلال القرن 5 ق.م، غير أنه لم يتمكن فقط من المعلومات التي تلقاها من الكهنة، غير أن الاعتقاد السائد والمتداول والذي استمر لفترة طويلة أن منبعه كان بعيدا عن نهر النيل، وأن مساره السفلي يقع في الغرب، أي بالقرب من موريطانيا. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

لذا يمكن اعتبار أن الدافع الاول للبحث عن هذا المنبع هو الفضول العلمي الذي ميزه، وشغفه اللامعتاد لمختلف المعارف، الصفة التي أكدها اثيني عندما وصفه أنه رجل متعلم، ومتمكن من مختلف العلوم **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** فكانت خصائصه الغربية وروافده العليا غامضة وموضع استفسار له، خاصة المناطق التي تقع فوق الفاتنين، فرغم وصول هيردوت الى منطقة ميروي الاثيوبية، تم الكشف عن نهر كبير في افريقيا جنوب الصحراء، كان يعتقد على أنه أصل النيل، وذلك حسب رواية التي ذكرها النسامونيين لهيرودوت **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** ما جعل يوبا يحمل على عتقيه مهمة تأكيد هذه المعلومات في تقصي منابعه في المنطقة الغربية، في ظل شح المعلومات الجغرافية التي تنعدم في المصنفات الجغرافية الاغريقية، وبالفعل كان ليوبا الفضل الكبير بهذا العمل المتكامل حول ليبيا والجزء الشرقية والجنوبية لافريقيا ونهر النيل تغطي منطقة كل القارة الافريقية من البحر الابض المتوسط شمالا الى جنوب الصحراء الكبرى جنوبا، ومن جزر المحيط الاطلسي غربا الى اثيوبيا والبحر الاحمر شرقا، وبالتالي تزويد الحلقة الاوغسطية بروما بدراسة تفصيلية وشاملة عن المنطقة **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

كما كان ليوبا اهداف خاصة من وراء الحث عن نهر النيل، الابحاث التي تشكل الكتاب الثاني من المؤلف الاصيلي "ليبيا"، الذي اراد منه ادراج ثقافة وتاريخ أقاليمه الجديدة للعالم الروماني، فاخياره لعنوان المؤلف لم يكن اعتباطيا، فقد كان اختيارا دقيقا وموفقا منه، كون اسم ليبيا ينطبق على المجال الجغرافي الواسع الممتد من مصر الى غاية أعمدة هرقل، والعنوان الذي يتطابق مع محتوى عمله الشامل، فرغم أن المصطلح عفى عنه الزمن ولم يعد له استعمالا في السياسة الاغريقي والرومانية زمن يوبا الثاني، الا أن اختيار يوبا للاسم لما فيه من تذكير لتقاليده وأسلافه القديمة **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** ولعل أكبر سبب جعل من يوبا يبحث في المنطقة الشرقية لافريقيا، وخاصة نهر النيل، أنه يمثل عالم زوجته البطلمية، النهر الذي أراد من خلاله تحقيق نوعا من الترابط والوحدة الجغرافية تربط بين الشرق والغرب، وذلك بربط النيل بموريطانيا، الهدف الذي لوح له احد شعراء القصر الاوغسطي كريناكروس الميلاطي (Grinagaros Mililen)، من خلال قصيدته التي ألقاها بمناسبة زواجه سنة 19 ق.م، كتعبير مجازي للوحدة بين مصر وموريطانيا. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

هناك من يربط هذا البحث الجغرافي الذي باشر به يوبا، يندرج ضمن المشروع الجغرافي الذي بدء فيه الإمبراطور اوكتافوس (Caius Octavius) المتمثل في توسيع الخريطة الجغرافية لاغريبا (Agrippa)، الأمر الذي جعل يوبا بالقيام بدراسة ومسح جغرافي واسع، ودراسة اثنوغرافية عن موريطانيا الغربية وبعض المناطق الإفريقية لتزويد اغريبا بالمعلومات التي يحتاجها. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** اذن تلك أهم الدوافع التي جعلت يوبا يبحث عن أصل نهر النيل متبعا في ذلك نهج المؤرخين الاغريق واللاتين، في تحريره عن أصله، متبعا مساره انطلاقا من جبال الاطلس الى غاية وصوله الى مصر، المعلومات التي مهدت للبحث للعديد من المؤرخين فيما بعده، أمثال بلينيوس القديم الذي اعتمد على أبحاثه فيما يخص نهر النيل، المعلومات التي اقتبسها منه مباشرة لتأكيد أصله الغربي.

4- محتوى النظرية :

يذكر بلينيوس الكبير أن البعثة الاستكشافية ليوبا الثاني نزلت بأحد جبال الأطلس أسفل موريطانيا، غير بعيد عن المحيط الأطلسي، واستطاعت بعد تحريات أن تكشف عن مصدر نبع نهر النيل وذلك من خلال بحيرة بالجبل تدعى نيليس أو نليديس (Nilis/Nilidis)، هي بحيرة ذات مياه راكدة، تحتوى على عدة أنواع من الأسماك منها: سمك الالبيتاي (Alabetae)، الكوراكيني (Coracini)، السيلوري (Siluri)، التماسيح، هذا الأخير الذي تم استحضاره إلى الملك يوبا، وقد كرس له عبادة بعاصمته قيصريّة، كبرهان لنظريته. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

بناء على تقارير التي جاءت عادت بها البعثة الاستكشافية، وضع يوبا الثاني تقريراً مفصلاً حول أصل نهر النيل، التقرير الذي اعتمده فيما بعد بلينيوس القديم كمادة أولية في حديثه عن أصل نهر النيل ومصدر منبعه، وعن طريقه تمكنا من معرفة أبحاث يوبا الثاني حول النيل ودراسته الشاملة بداية من الفيضان إلى غاية وصوله للأراضي المصرية، يرجع يوبا أن سبب فيضان النيل يعود إلى تساقط الكثيف للأمطار وذوبان الثلوج التي غطت مرتفعات جبال موريطانيا، مرحلة الذوبان التي تسبب في فيضان بحيرة نليديس، و بذلك تبدأ مسيرة فيضان النيل، نحو المناطق الصحراوية، ليختفي تحت رمالها بعد مسيرة عدة أيام، ليصب في بحيرة كبيرة بأراضي موريطانيا القيصريّة، تحديداً في أراضي قبيلة الماسيسيلي (Massaesyle)، مشكلاً تجمعات بشرية من حوله، وتعيش بها نفس حيوانات بحيرة نليديس كإثبات لهوية النيل، ليختفي من جديد في الرمال مدة عشرون يوماً من المسير، حتى يصل إلى مقربة من بلاد الأثيوبيين، أين يخرج من النهر نبعاً يسمى نيجريس (Nigiris) أي الأسود، الذي يعتبر فاصلاً مابين إفريقيا وإثيوبيا، المنطقة التي تمتاز بقلّة سكانها و كثرة حيواناتها المتوحشة وغاباتها الكثيفة، و يقطع النهر الغابات الكثيفة بوسط أثيوبيا ليحمل اسم استابيس (Astapus)، الذي يعني بلغة أهل السكان الماء الغزير الذي ينبع من الظلام الحالك السفلي، مكوناً عدد من الجزر الواسعة منها جزيرة ميروى (raoéM)، و يتفرع بعدها إلى قناتين مائيتين، قناة الاستيسابيس (Astusapes) تشكل الرافد الأيمن للنهر، و الاستوبوريس (Astobores)، مشكلة الرافد الأيسر للنهر. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

لا يسمى النهر نيلا إلا بعد أن تتوحد مياهه في مجرى واحد، ورغم توحيده، إلا أنه يحتفظ باسمه القديم جريس (Giris)، و يطلق عليه هوميروس إيجبتوس (Aegyptus)، وآخرون يطلقون عليه اسم تريتون (Triton)، ومن هناك ببدء بالالتحام بعدة جزر، و تحيط به الجبال من كل حد التي تتمكن من الحد من قوة جريانه، حيث يصل إلى مكان بإثيوبيا يسمى كتادوبي (Catadupi)، ويعتقد أنه الشلال الأخير للنهر الذي يتدفق بين الصخور، التي تعترض جريانه، وبذلك تخف من سرعته و يفقد كثيراً من قوته بسبب طول المسافة التي قطعها، ليندفع نحو امتداد البحر المصري، و يزداد حجمه خلال أيام، و يغمر مصر الذي يحول تربتها إلى تربة خصبة **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

وبذلك يكون يوبا وضع لنا تحقيقاً مفصلاً حول أصل النيل وطريق جريانه انطلاقاً من الغرب إلى غاية وصوله لشرق، وبذلك صار على نهج مؤرخي الإغريق من قبل، أمثال بروماتوس الساموسي (Promathos Samos)، خلال القرن السابع ق.م، وأرسطو اثيمونس المارسي (Euthimenes de Marsella)، الذي ذكر أن أصل النيل ينبع من أحد جبال الأطلس، ويعبر السواحل الإفريقية ليصل الأراضي المصرية (Joorde R., 2015 p.5)، كما ذكر هيرودوت في القرن 5 ق.م

انه يتجه من الغرب نحو الشرق، بناء على رواية نقلها النسامونيّين الذين وصلوا إلى بحيرة سكانها ذو بشرة زنجية، وبها تماسيح. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

نظرية التي وضعها يوبا حول أصل نهر النيل نجدها عند العديد من معاصريه أمثال فيتروف الذي ذكر أن مصدر النيل من موريطانيا، حيث ينبع من احد الجبال الشمالية للأطلس، كما يأخذ منابعه من بحيرة هبيتابول (Heptabol) متجها نحو الغرب، مغيرا اسمه إلى نيجيري (Nigiri)، إذ يمر بعدة مناطق صحراوية ليصل إلى منطقة مروي (Meroe)، ثم ينعطف نحو اثيوبيا، ليتصل بنهرى الاستسوباس (Astosbas) و الاستبوراس (Astaboras)، ثم يلتقي بنهر الالفونتين المصري، قبل أن يتحول إلى نيل، و تشترك جميع هذه الأنهار في الحيوانات النيلية مثل التمساح و فرس النهر. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.** وهكذا مهدت هذه النظريات لبداية البحث الجدي والدقيق للأصل منبع النيل للجغرافيين فيما بعد، حيث ذهب كل من الجغرافيين بومنيوس ميلا وسترابون في جغرافيتهما لتأكيد أن أصله يخرج من الصحاري الإفريقية الحارة، ليجتاز الأراضي الإثيوبية، ثم يتفرع إلى نهرى الاستسوباس والاستبوراس قبل أن يتوحد ليتحول إلى النيل. **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

اتخذ يوبا الثاني من التمساح دليلا لاثبات أن اصل نهر النيل من موريطانيا، خاصة أن نهر النيل يعرف بوجود هذا النوع من الزواحف بكثرة، وبناء على ما ذكره بلينيوس الكبير أن يوبا كرس عبادته بعاصمته قيصرية، وخصص له معبدا، ووشح به العديد من القطع النقدية التي تحمل صورته رفقة زوجته كليوباترا، و هناك من شبهه بهذا الفعل بالقائد القرطاجي حنون الذي قام بعد عودته من رحلة طوافه حول القارة الإفريقية، بتعليق جلود القردة بمعبد تانيت (يونو) بقرطاجة، كما أراد يوبا الثاني من وراء تقديس التمساح في محاولة منه ربط موريطانيا بمصر عن طريق النيل عقائديا، وذلك بإحاطة التمساح بهالة من القدسية، خاصة بعدما اطلع على التماسيح المقدسة بمعبد سوبك (Sobek)، و بذلك يكون قد أدخل عبادة البطالمة إلى قيصرية، قدسية التماسيح التي انتشرت بأنحاء العالم القديم، هي الأخرى كان لها مكانة عند يوبا الثاني، خاصة بعد سماعها للعديد من القصص التي كانت تنسج حول المعبد المخصص لها المعروف باسم كروكوديلو- بوليس (Crocodilo-Police). **Erreur ! Source du renvoi introuvable.**

خاتمة:

خلاصة دراستنا لهذا المقال أن الابحاث التي قام بها يوبا الثاني مكنتنا من التعرف على منبع أصل نهر النيل، الدراسة التي شكلت موسوعته الجغرافية التي غطى فيها القارة الليبية من كل النواحي، البحث الذي اعتمد فيه على مجموعة من المصادر المتنوعة الذي اعطى له صفة المؤرخ والاستقلالية في الكتابة، وتميزه بالدقة العلمية في تحري الحقائق وتأكيدا أو نفيها.

مشروع يوبا الاستكشافي مشروعا يهدف من خلاله الى خلق نوعا من الوحدة بين مصر وموريطانيا، الهدف الذي ربطه بكتابه ليبىكا، والذي يتوافق مع الحيز الجغرافي الذي ذكره هوميروس من مر الى أعمدة هرقل، فرغم محاولة البعض ربط مشروعه البحثي بأهداف سياسية، غير أن اخفاق يوبا السياسي في اعادة املاك اسلافه وتحقيق وحدة منفصلة عن روما، عوضه بابحاره في الجانب العلمي، ومحاولته في قلب هذا المؤلف أن يحقق شيئا لوطنه الاصلي، سواء بالتعريف به للعالم الروماني، وربطه بالعالم الشرقي، عالم زوجته البطلمية، ولعلّى توجهه الهلنستي و كتاباته باللغة الإغريقية، كانت فرصة له ليتحرر من القيد الروماني الذي فُرض عليه، فراح يبحث في غابات إفريقيا عن حيوانات ترمز

لأصله المحلي، التي برزت بوضوح في عملاته التي وشحها بالفيل الأطلسي، كما أرجع أصوله إلى الإله هرقليس وإحدى الليبيات طنجي".

كما يمكن اعتبار أبحاث يوبا الثاني مسودة لمشروع بحث حقيقي لمسار وأصل نبع نهر النيل الذي تبناه بعد خمسين سنة بلينيوس الكبير في بحثه الجغرافي، وهذا العمل الدقيق استحق يوبا حقيقة لقب "الملك العالم"، وإن كانت صفة العلم هي الغالبة باجماع العديد من الشهادات الصادرة من كبار المؤرخين.

الهوامش:

¹ أين يوبا الأول أين هيمصال الثاني ابن غودا، ينحدر من العائلة الماسيلية، وينتهي نسبة إلى الملك ماسينيسا، من مواليد سنة 50 ق.م، وقع في الأسر بعد معركة تايوسوس سنة 46 ق.م، عهده يوليوس قيصر إلى ابن أخته اوكتافيوس لتربيته، الذي عهده هو الآخر إلى أخته اوكتافيا، فترعرع رفقة أبناء العائلة الإمبراطورية، لسيرته أكثر عد إلى مقال، Jean- Luk P., Juba II , une vie, une œuvre, «Zamane», Maroc, 2011, p.62.

² أغريبا (Marcus Vipsanius Agrippa) : عاصر أحداث الصراع الدائر بين اوكتافيوس و لايبديوس، وكان رفيقا لاوكتافيوس، رافقه في حربه ضد ماركوس انطونيوس، سافر إلى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، خاصة بلاد الغال، إلى جانب وظائفه العسكرية، ساهم في بناء الحمامات

واكتمال البانيثيون والعديد من العمران، كما صمم شبكة الطرق . عد إلى :

Frank-Kollin J., the lost treasure of king juba ;the evidence of Africans before Colmbus, 2003, pp.54.55 ; Deane Roller W., the world of Juba II and Cleopatra Selene(royal scholarship on Rome's African Frontier , London , 2003, p.09

³ اليوفورب : مؤلف طبي، يتضمن دراسة علمية لنبات اليوفورب، الذي يعد من الأعشاب التي اكتشفها بجبال الأطلس، أطلق عليه اسم اليوفورب نسبة لطيبه الخاص يوفريوس، أخ طبيب الإمبراطور اوكتافيوس موسى الذي أنقذ حياته، و يرجع لهما الفضل في اكتشاف طريقة شد الجسم، بعد الحمام باستحداث غرف باردة، اليوفورب عبارة عن عشبة نباتية، تنتمي إلى عائلة اليوفوربيات، وهي نباتات متنوعة ذات أشكال و أحجام، تتغير بسرعة، ثمارها شبيهة بالغدد الدرقية وأوراقها شبيهة بأوراق الاقنثة (Cyanthium)، تنتشر بكثرة بشمال إفريقيا وحتى الصحراء خاصة بالمناطق الجبلية والصحور الجيرية. عد إلى المقال :

Quezel, P., Gast, M., 1997, Euphorbes, Encyclopédie berbère, volumes, 18, pp.3.5

⁴ خلدت رحلة حانون بنقش وضع بمعبد كرنوس (بعل حامون) بقرطاجة، يعود إلى بداية القرن الثالث قبل الميلاد إلى بداية القرن الثاني ق.م، انطلقت من خارج أعمدة هرقل وصولا القرن الجنوبي ليعود لقرطاجة، استغرقت مدة تتراوح من 35 -40 يوما. للاستزادة عد إلى : Désangles J., le point sur le périple d'Hannon , in : « enquêtes et documents, nuntés –Afrique », N., 6, 18, 20.

⁵ مؤلف ارابيكا: مؤلف جغرافي وصف لنا فيه المنطقة العربية من مصر شمالا إلى اثيوبيا جنوبا مرورا بالبحر الأحمر وجزره، ثم المناطق الممتدة من الخليج الفارسي غربا إلى المحيط الهندي شرقا، ركز فيه على الجوانب الاقتصادية والجغرافية والاثنوغرافية، وصلتنا شذراته من خلال بلينيوس الكبير، والمؤرخ اللاتيني النحوي سولينوس (Gaius Julius Soline)، و اللاتيني كلاوديوس ايليانوس (Claudius Aelianus). عد إلى : Gsell S., Op-Cit, p. 227.

⁶ كليوباترا سليبي: معنى اسمها القمر ابنة مارك انطوان وكليوباترا السابعة، ولدت سنة 40 ق.م مع أخ توأما لها الكسندر هيلوس (يعني الشمس)، وقعت في الأسر بعد معركة اكتيوم 31 ق.م، و كفلت اوكتافيا شقيقة اوكتافىوس بتربيتها رفقة الأسرى الامراء.عد إلى : Gsell,S., 1928, pp117, 118.

5- توثيق المراجع:

- Athénée, *Banquet des Sophistes*, II, 2, 83, trad., M. Cefevre de Ville brune, 1889, Paris.
- Ammien Merceulin, XXII, 15,8.Trad. M. Nisard, Paris, 1860.
- Alicia M Garcia Garcia , perfil bio – literario de Juba II, rey de Mauritania /El informe de Juba II sorbe la fortunatae insulae (Plinio el Viejo, H.N.VI.(209,205), Universidad de a laguna ; Concepcion Falomir Pastor , Juball rey de los Mauros y los Libios ,thesis doctoral , 2013 , Universitat de Valencia.
- Coltelloni Trannoy M.,Juba , « Encyclopédie Berbère »,volume,25,2003,p.27.
- Désangles J., le point sur le périple d’Hannon, in ; « enquêtes et documents, nuntés –Afrique », N., 6,18, 20.
- Draycott J., the sacred crocodile of Juba II of Maurétania, “Acta Classical, N .3, Issm: 00065/1141, 2010.
- Daene Roller W., the world of Juba II and Cleopatra Selene (royal scholarship on Rome’s African Frontier, London, 2003.
- Gsell,S., H.A.A.N.,T.,I,1913, Paris ,
- Hérodote, Histoire, II, 3, 32, trad., P.H., Lâcher, 1850, Paris.
- Joorde Raffael D., Juba II and the description of Africa in His Libya,“Http; independent Academia edu.Raffael Joorde”, 2015.
- Plin l’Ancien, Histoire Naturelle, VI, 170, trad., A. Vinas, 1848, 1850, Paris.